دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دور المعلومات المسبقة في فهم القرآن الكريم
المصدر:	مجلة مركز دراسات الكوفة
الناشر:	جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة
المؤلف الرئيسي:	شمخي، مينا
المجلد/العدد:	ع43
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	51 - 64
رقم MD:	824157
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch, EcoLink, AraBase, IslamicInfo, HumanIndex
مواضيع:	القرآن الكريم، علوم القرآن، فقه الشيعة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/824157

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دور المعلومات المسبقة في فهم القرآن الكريم

أ.م.د. مينا شمخي
جامعة شهيد چمران أهواز

مقدمة:

إنَّ القرآن الكريم هو رسالة هداية ومصدر نور وشفاء لكل ألم ووجع فكري واعتقادي وأخلاقي، ومورد استفادة العامة والخالصة، لا يعود أحدٌ من نعمائه محروماً، وكلٌّ من قصد القرآن وجده في مستوى نفسه قابلاً للفهم و الإدراك. «لقد يسَّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» (القمر،٢٢).

وكلٌّ بمقدار إدراكه وفهمه يستفيد من بحر المعارف القرآنية.

تعرف بعض معلومات المفسر بالمعلومات المسبقة (الخلفية المعرفية) التي يقوم المفسر على أساسها بترتيب فهمه للنص، وهذه تُسمَّى الهرمنوطيق الذي تعود خلفيته الى حركة الإصلاح الديني وعصر التنوير في أوربا.

ويتضمن أصولاً وقواعد يستند إليها المفسر بتفسير النصوص الدينية المقدسة. وفيما بعد اتسعت حدود الهرمنوطيق فشمل نصوصا أخرى، و صار يعنى به المنهج المعرفي العام الذي يمكن استخدامه فى سائر العلوم على السواء (ريخته گران، ١٣٧٨، ص ٩). بالطبع يجب الإذعان بأنَّ معرفة النصوص الدينية لم تنحصر في القرآن، بل تشمل الروايات الإسلامية ايضاً. كذلك النصوص الإسلامية فى الماضي وكتب الأديان الأخرى. وفي ذلك مساع كثيرة لفهم النصوص الإسلامية في الماضي و كتب الأديان الأخرى. وفي ذلك بذلت مساع كثيرة لفهم النص الديني.

إنَّ الهرمنوطيق الجديد مع كونه اتجاها فلسفيا وأدبيا، فإنَّ استخدامه في المباحث الدينية قد استمر وازداد يوماً بعد يوم، وازدادت الكتب المؤلفة في هذا الموضوع.

إنَّ مسألة فهم القرآن فى تاريخ الفكر الاسلامي له سابقة طويلة، ونظرة الى هذه التيارات (المناهج) التفسيرية، نواجه مجموعة من التلقيات (القراءات) التي تتفق فى موارد وتختلف فى موارد اخرى. وفى هذه المقالة نقصد أن نعرف هل يمكن بالنسبة للقرآن اتخاذ اتجاه هرمنوطيقي؟ ذلك لأنَّ نظرة علماء المسلمين فى باب فهم النصوص المقدسة من بعض الجهات تتفق مع النظريات الهرمنوطيقية، وتختلف من جهات أخرى. وقبل أي بحث يلزم الحديث بصورة مجملة عن علم الدلالة وتاريخ الهرمنوطيق.

مصطلح «الهرمنوطيق»:

مصطلح الهرمنوطيق[1] في الأصل مأخوذ من اليونانية، ومصدره الفعلي هو هرمنوئين[2]، بمعنى مراحل الفهم والتفسير. هذه اللفظة استعملت لأول مرة فى كتاب «الهرمنوطيق المقدس» للمؤلف « جى.سى. دانهاوسر» الذي صدر عام١٦٤٥ميلادي. ومايقارب عقداً من السنين فإن البحث حول الهرمنوطيق كان مورد اهتمام المفكرين الغربيين (احمدى ،١٣٧٥، ج ٢، ص ٤٩٨). وقد استخدم أرسطو هذه اللفظة كعنوانٍ فى باب منطق القضايا، وسمّى ذلك القسم من كتاب آرغنون «پارى ارميناس» بمعنى «في باب التفسير» (واعظى ، ١٣٨٠، ص ٢٢). إنَّ أحد الباحثين المعاصرين وهو عزيز فهيم في "الكتاب المقدس" يطرح ثلاثة معاني لهذا المصطلح: في البداية كان هذا المصطلح يقال للذين كانوا على اتصال مع الآلهة، وكانوا يفسرون إرادة الآلهة، ولهذا السبب سمّوا « هرمس» أحد الآلهة الأسطورية المفسر. وتارة استخدموا هذه اللفظة بمعنى الترجمة. و فى هذا الصدد فإنَّ هذه الكلمة قد استخدمت فى كتاب العهد الجديد خاصة بالترجمة (انجيل يوحنا، باب٧/٩؛ متى، باب ٢٣/١؛ مرقس، باب٤١/٥ وباب ٢٣/١٥و٣٤). كذلك فإنَّ الهرمنوطيق جاءت بمعنى الشرح. و تطور الهرمنوطيق فى العصر الحديث عند المسيحيين واتخذ شكلاً متجدداً للمفاهيم التي تناسب احتياجات العصر. (عزيز، بى تا، ص ١١-٩). فهرمنوطيق هو فى حدود تفسير وتبيين أمور النصوص المقدسة.

لوازم فهم النص:

بعد هذه المقدمة القصيرة سؤال يطرح، وهو ما المقصود من فهم المتن؟ للإجابة على هذا السؤال يلزم إلقاء نظرة قصيرة على بعض النظريات المطروحة من قبل علماء الغرب وعلماء المسلمين حول تفسير النصوص. إن مصطلح هرمنوطيق قبل قرنين أو ثلاثة قرون كان يطلق في مجال النصوص المقدسة وبخاصة الكتاب المقدس. لكنَّ منذ أواخر القرن الثامن عشر انتقل هذا المصطلح من التفسير الخاص بالكتاب

المقدس الى التفسير العام للنصوص الأدبية و الدينية و... وبدأت مرحلة جديدة فى مجال البحوث التفسيرية، هذا التوسع فى المعنى ظهر فى مجالين اثنين هما:

١- اتساع حدود الهرمنوطيق وتجاوزها النصوص المقدسة وشمولها للنصوص عامة.

٢- اتساع موضوع وحدود التفسير والتحقيق (بلخارى ، ١٣٧٩،ص ٧).

من وجهة نظر ماخر فإنَّ للغة والفكر تأثيرا متقابلا فى تحقيق الفهم. يعني كل كلام يرتبط مع كل اللغة و مع كيفية المتكلم ايضاً. وطبقا لهذا الرأي فإنَّ للهرمنوطيق قاعدتين، هما:

أ- لغوية ونحوية.

ب- معرفة نفسية أو فنية.

(بهرامى،١٣٨١، شماره ٢٩- ٣٠، ص ٢٧٣-٢٧٥).

لقد سعى ويلهلم ديلتاي في تكميل وإصلاح الاطروحة الهرمنوطيقية لشلايرماخر، وأدخل الفهم الى مسار حياة الانسان. من هذه الناحية فإنَّ كلَّ تأويل في هرمنوطيق ديلتاي وقبل أي شيءٍ فهو تابع للمأوّل. (حقدار، بى تا، شماره ١٣، ص ٣٦). في برهة أخرى من حياة علم الهرمنوطيق وهي ما يعبِّرُ عنها بمرحلة الحداثة، فإنَّ مارتين هايدگر جعل فهم النص مبتنياً على الخلفية المعرفية، والمفروضات المسبقة وتوقعات و مفاهيم المأوّل التي تطرح قبل أي نوع من التفكير على تجربة المفسر والمأوّل. (احمدى، ١٣٧٩ ،ص٤٥).

وهانس غورغ غادامير كان من جملة العلماء الذين وضعوا مع ماخر وديلتاي أسس الهرمنوطيق الحديث، لقد صنّف كتاباً بعنوان «الحقيقة والمنهج» أكَّدَ فيه على تأثير الخلفية المعرفية والمفروضات المسبقة. (فرجاد، ١٣٧٧، شماره ١٦-١٥، ص ٣٧٥).

إنّ غادامير لا يعتبر أي تفسير محسوماً، بل إنه يعتقد أنَّ جميع التفسيرات والتأويلات تنبثق عن التعصب والمفروضات المسبقة. لقد أعلن أنه يجب النظر الى الفهم كظاهرة لغوية. فى حين أنّ تعاليم الهرمنوطيق التقليدي في فهم النصوص تتجه اتجاهاً تعاطفياً. (پورحسن، ١٣٨٥، ص ١٣). لذلك يمكن تقسيم نظريات العلماء الغربيين فى مجال فهم النصوص الى ثلاثة اقسام هي:

١ – حسب اعتقاد بعض المفكرين فإنَّ فهم أحد النصوص يعني الكشف عن مقصود مؤلف ذلك النص، وكل نص يبين المقاصد التي وصفها المؤلف بين يدي القارئ.

٢ – نظر آخر لفهم النص يسعى وراء التعرف على العناصر النفسية وما يطلبه المؤلف ويسعى إليه مما هو موجود فى عقله الباطن.

٣ – الرأي الثالث؛ التعرف على الأجواء الفكرية وكيفية نظرة المؤلف تجاه الموضوع وموقف ونظرة القارئ إزاء ذلك. وطبقا لهذا الرأي فليس للنص معنى نهائي ومحسوم بل إنه أمر نسبي.

العلوم الاسلامية والهرمنوطيق:

إنَّ العلوم الدينية بشعبها المختلفة خاصة الفقه و علم الكلام والتفسير على ارتباط وثيق بفهم النصوص الدينية. من هنا فإنَّ علماء الإسلام في رجوعهم الى تلك النصوص يتبعون نظرية تفسيرية خاصة. (واعظى ،١٣٨٨ ، ص ٥٢).

وإنَّ باباً فى علم الأصول يرتبط بالمسائل التي تتعلق بفهم النص والقواعد التي تحكمه. وهذه تسمّى «مباحث الألفاظ» (انصارى ،١٣٧٧، ج١ ، ص ١٤٠–١٤٢)، إضافة الى ذلك ففي مقدمات التفسير ايضاً وبصورة متفرقة يهتم المفسرون ببعض المباحث التي ترتبط بكيفية فهم القرآن. ورغبة العرفاء والصوفية بالتفسير النفسي والرمزي للقرآن هو نوع من الاتجاه الهرمنوطيقي الذي كان له خلفية بين الباحثين المسيحيين. وفي الواقع فإنَّ أحد النشاطات المهمة فى تفسير الكتاب المقدس هو الاتجاه نحو التفسير الرمزي، وفي المصطلح التفسير المجازي. (ايازى ،بى تا، شماره ٩–١٠، ص ٣١–٣٢).

والخلاصة أنَّه لم يظهر فى العالم الاسلامي فرع مستقل يتعهد البحث فى ماهية التفسير وأصوله ومبانيه. لذلك فإنَّ تطبيق الهرمنوطيق مع مباحث التفسير لدى المسلمين ينحصر بمطابقته لأصول ومباني تفسير القرآن. أمّا في العالم الاسلامي فماذا يراد من التفسير؟ هذا باب جديد فى المقالة يتناول التفسير والتأويل.

علم الدلالة «التفسير والتأويل»:

إنَّ كلمة التفسير فى اللغة تعني «الوضوح و التبيين». ويعتقد علماء اللغة والأدب أنَّ كلمة تفسير مأخوذة من أصل «فسر» أو «سفر» مقلوب «فَسَر»، والمعنيان بمعنى «الكشف ورفع الإبهام عن اللفظ الصعب». (راغب اصفهانى، ١٣٦٢، ص ٣٨٠ ؛ابن منظور ،١٤٠٥، ج٥ ، ص٥٥ ؛ ابن فارس ، ج ٤ ، ١٤٠٧ ،ص ٥٠٤ ؛طبرسى ،١٤٠٦، ج١ ، ص ١٣؛ ازهرى، ج١٢،ص٤٠٦ ؛ طريحى، ١٩٨٥ ، ج ٣، ص ٤٣٧؛ فراهيدى، ج٧، ص٢٤٦؛ ابن جزى،١٣٩٣ ،ج١،ص٦). والمستفاد من كلام علماء اللغة أن كلمة تفسير تستخدم فى موارد يعتري فيها الكلام نوع من الابهام أو الإجمال بالشكل الذي يجعل مقصود المتكلم غير واضح. إن كلمة التفسير فى القرآن لم تأت سوى فى

موضع واحد وبمعنى «الشرح والتفصيل» (الفرقان: ٢٥/٣٣) لكنّ استعمال كلمة «سفر» و مشتقاتها استعملت قرابة إحدى عشرة مرة.
وبشكل أو بآخر تشترك جميعها بمعنى الكشف فى دلالتها (سفر: ١٨٤/٢-١٨٥؛ اسفر: ٣٤/٧٤؛ سفراً : ٤٢/٩ ؛ اسفارا : ١٩/٣٤).
و لأنَّ كلمة التفسير قد استعملت لبيان مفهوم الآيات القرآنية أو علم فهم القرآن لذلک فإنَّها قد أخذت معنىً اصطلاحياً خاصاً بين الباحثيين فى القرآن الكريم.

وكلمة «التأويل» من الالفاظ التي حظيت في الادب القرآني باهتمام لائق وفي دوائر المعارف الدينية كالتفسير وعلم الكلام والفلسفة والتصوف حازت على مكانة خاصة. وبين المفكرين الغربيين عرف التأويل بالهرمنوطيق وفي الواقع أنّ البحث في تأويل كلام الله كان دائماً من أهم مسائل التفسير وعلم الكلام فى العالم الاسلامي.
إنّ كلمة تأويل مأخوذة من مادة «الأول» بمعنى «الرجوع» (زركشى، ١٤٠٨،ج١ ، ص ١٣؛ ؛ ذهبى، ١٣٩٦،ج١، ص ١٥؛ فيروز آبادى، ١٤١٥، ص ٥٨٧؛ كافيجى، ١٤١٠، ص ١٢٤-١٢٥؛ زرقانى ،١٤٠٠ج٢ص٣؛ لاهيجى ،١٣٦٣، ج ٣، ص ٣٣٥؛ آلوسى ، ١٤٠٥،ج ١٩، ص ١٦). قال الزمخشري: «التأويل» من «الإيالة» بمعنى «السياسة» و المؤول كأنَّه الذي يقود ويسوس الكلام حتى يصنعه فى مكانه (زمخشرى، ١٣٩٩،ج ١، ص ١٥) وعن المعنى الاصطلاحي للفظة التأويل يمكن الإشارة الى ما يأتي:

١- بيان معنى الكلام، وفي هذه الحالة فإنّه يرادف لفظة التفسير. وعلى هذا الرأي مجاهد والطبري وهما من كبار المفسرين. (زبيدي ،١٤١٤، ج ٧، ص ٣٤٩؛ طيار، ١٤٢٢، ص٢١).
٢- التفسير الباطني والصوفي، فقد استعمل أصحاب هذا الاتجاه التأويل بمعنى الرمز و الاشارة. (شاكر، ١٣٧٦، ص ٣٢).
إنّ لفظة التأويل علاوة على معناها اللغوي فقد صارت فى كلٍ من دوائر المعرفة الدينية مصطلحاً خاصاً، والخلط بين هذين المعنيين غالباً ما يسبب الانحراف فى تفسير النصوص الدينية. إنّ تأويل القرآن يقال لمطلق مقصود الله سبحانه سواء كان لفظه ظاهر المعنى أو كان غير ظاهر. فى حين أنَّ التفسير فى العرف اللغوي يطلق في الموارد التى لا يظهر فيها المعنى المطلوب، وللوصول الى مراد الله سبحانه نحتاج الى رفع الابهام وتبيين آيات القرآن.

إمكان فهم القرآن وجوازه:

من البحوث التمهيدية في تفسير القرآن إمكان و عدم إمكان فهم القرآن، ولم يطرح هذا البحث بين

علماء المسلمين بصورة مباشرة. لكنَّ بعض المحدثين بالنسبة لجواز التفسير استندوا الى بعض الأدلة، ومن أهمها يمكن الإشارة الى تشابه الآيات وتعالي مضامين القرآن. (رجبى ،١٣٨٣، ص ٢٩-٣٠). إن من أهم محاور أسس المعرفة للنصوص الدينية هو قدرة البشر على فهم كتاب الله. من هنا يطرح هذا السؤال هل البشر قادرون على فهم القرآن؟ وفي أعقاب هذا السؤال جاء بحث جواز فهم القرآن وعدمه. وبهذا المعنى طرح السؤال التالي: هل فهم القرآن خاصٌ بالأئمة المعصومين (ع) أو أنَّ الآخرين كذلك يستطيعون فى حدود قدارتهم وخلال ظروف معينة القيام بتفسير الآيات؟ إنَّ فهم مقاصد القرآن هو من أهم أهداف نزول هذا الكتاب السماوي. و القرآن في عدد من آياته يدعو عامة الناس الى التدبر والتفكر فيه. ويعاتب الذين ابتعدوا عن مسير فهم القرآن (ص،٢٩؛ يوسف،١؛ نحل،٨٩؛ مائدة، ١٥؛ قمر، ١٧،٢٢،٣٢؛ شعراء، ١٩٢-١٩٣؛ محمد، ٢٤) والدلائل النقلية والعقلية المتعددة تشير الى هذا الأمر ولم نأت بها للايجاز.

ضوابط فهم القرآن:

لفهم القرآن منهج خاص في إطار من القواعد الخاصة والمعينة ومن دون رعاية تلك القواعد و الضوابط فكل قراءة وتلق من القرآن لا يعتمد عليه. ومن وجهة نظر الباحثيين في القرآن يكون التفسير صحيحاً ودقيقاً إذا جاء مطابقاً لقواعد و شرائط التفسير. والجدير بالذكر أن قواعد التفسير عند المفسرين المسلمين هي أكثر من تلك القواعد المطروحة في الهرمنوطيق. إضافة الى ذلك فإنّ القرآن يختلف عن الكتب الدينية وغير الدينية اختلافاً أساسياً، فمن وجوه الاختلاف وبحسب الرأي المشهور لدى المسلمين والمفسرين أنّ ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وحي إلهي، ومثل هذا الادعاء لم يأت بالنسبة لأي كتاب آخر. كذلك فإنّ الترتيب الموجود فى القرآن ليس ترتيباً نزوليا وتاريخياً، ولهذا فإنّ جميع قواعد الهرمنوطيق لا يمكن تطبيقها على النصوص القرآنية. إنّ ضوابط وقواعد فهم النص القرآني هي بايجاز ما يأتي:

١- التوقع من القرآن الكريم:

أول شرط مسبق لمعرفة القرآن هو تصحيح الانتظار والتوقع لدى المفسر من هدف القرآن ورسالته.

هذا الموضوع الذي يطرح اليوم في الهرمنوطيق هو مورد تأكيد بعض علماء المسلمين: «بِأنّ اول شيء يطرح فى معرفة القرآن وفي التقرب اليه هو أن نعرف ماهيته والهدف من نزله حتى لا نشك

أو نرتاب فى أصالته، لأن أيَّ كتاب لا يعرف الانسان لم كتب وما هو هدفه لا يمكنه بأيّة حالٍ من الاحوال أن يبدي رأيه فيه». إنّ مصدر هذا الانتظار هو القرآن نفسه لا التصورات والاوهام الغربية عنه. وطبقاً لهذه النظرة فإنّ القرآن ليس بالصامت بل له لسانٌ ناطق يبيّن بوضوح رسالته وماهيته. بناء على ذلك فمع أنّ تعيين الانتظار من القرآن يعد شرطاً مسبقاً وضرورياً لمعرفة القرآن والتحكيم الصحيح بالنسبة لمفاهيمه وآياته إلا أنّ المصدر هو القرآن نفسه، ويجب البحث عن هذا الموضوع في نفس القرآن نظراً لصراحة آياته ووضوحها. (مطهرى، ١٣٥٧، ج٢، ص ٦٣).

٢- الفرضيات المسبقة:

إنّ كلّ جهد يبذل لفهم النص، سواء أكان نصاً دينياً أم غير دينى فهو يستند الى سؤال يسمّى في الهرمنوطيق الإدراك او الفرضية المسبقة. ومنذ مدة فإنّ عنصر الفهم المسبق فى مراحل التأويل في الهرمنوطيق قد فرض دورا أساسيا على مفكري هذه الدائرة لأنّ المعرفة الخلفية أوجبت البحث لتبيين النص وستكون المعيار الاوّل لفهم النص. وفي رأي العلامة الطباطبائي أنّ الآراء غير المعتبرة فى التفاسير تعود الى التلقي المغلوط للفرضيات المسبوقة، لذلك يجب دائماً تنقيح الانتظارات التفسيرية بدقة، وفي آثار المفسرين ايضاً يمكن الاطلاع على دور مثل هذهِ الفرضيات المسبقة في فهم القرآن. وأهمها:

أ- النظرة الشاملة للقرآن:

وفقاً لهذه النظرية فإنّ آيات القرآن مجموعة يرتبط بعضها ببعض، لذلك يجب فى فهم القرآن مطالعة مجموع الآيات. وعدم الاهتمام بهذا الموضوع يبعث على الانحراف فى فهم الآيات. فالخطوة الأساسية هى التعرف والاحاطة بالآيات والنظرة الشاملة في مقام التفسير. إنّ هناك اعتقادا بأن «الاستناد بآية واحدة دون التوجه للآيات الأخرى غير جائز، لأن بعض الآيات تفسر بعضها الآخر، يعني يلزم مطالعة القرآن كلّه، لا جزءا واحداً منه. دراسة القرآن فى آية او عدة آيات على حدة يسبب ضلال الانسان. لأن جميع آيات القرآن يرتبط بعضها ببعضها الآخر والذى يمكنه تفسير الآيات هو الذي يحيط بنحو بجميع آيات القرآن، ولايفصل بينها» (مطهرى، ١٣٦٧، ج٢، ص ٢١). وفي رأي العلامة الطباطبائي فانّ آيات القرآن ترتبط مع بعضها، و هذا الارتباط يوفر الأرضية اللازمة لاستخدام قرينة السياق. (طباطبايى، ١٣٩٣، ج٧، ص٥؛ ج١٠، ص٦؛ ج١، ص٧٣). وهذا الموضوع يمكنه أن يؤسس لمنهج خاص في فهم القرآن، يعد فرضية مسبقة للمنهج.

ب- تفسير القرآن بالقرآن (النص بالنص):

إن هذا الاسلوب التفسيري هو من أكثر المناهج التفسيرية إتقانا، وتحري خلفية هذا المنهج تظهر حقاً أن هذا المنهج له جذور تعود الى الايام الاولى لنزول الوحي وظهور التفسير، وفي الحقيقة أن الحجر الاساس له وضع بيد الرسول (ص) المباركة، ثم الائمة المعصومين (ع). هذا المنهج لَقِي ترحيبا واسعاً فى القرن الرابع عشر، ومن كبار العلماء مثل العلامة الطباطبائي الذي عدَّه المنهج الصحيح الوحيد فى التفسير، وأكد كثيراً على ذلك، فكان رحمه الله يعتبر القرآن مستقلاً قابلاً للفهم. وبالطبع فإنه الى جانب اعتبار القرآن مستقلاً فهو قد قبل حجّيّة الروايات، إلاّ أنه يطرح بعض القضايا حول كيفيتة تلك الروايات.

ولأنّ بعض الآيات تفسر بعضها الآخر، فإنّ ايجاد ارتباط بين الآيات مهم ومناسب. واحياناً عندما تأتي آيتان أو عدة آيات مجتمعة فالنظر فيها مجتمعة يعطينا موضوعاً جديداً لم يكن في أي من هذه الآيات إذا كانت متفرقة، ولم تدل عليه مطلقا. هذا المعنى الجديد يأتي حيناً بسيطاً جداً وحيناً معقداً لأنّ الرابط بين الآيات زماناً لا يوجد مثل هذا الاشتراك اللفظي او الارتباط بالمفهوم. أما آية الله معرفت فقد وضع نوعين جامعين لهذا المنهج التفسيرى. (معرفت ،١٤١٨،ج٢، ص٢٢-٢٥). ففي تفسير القرآن بالقرآن يستفاد من التدبر والتفكر في الآيات الأخرى، وكلٌّ في حدود فهمه وقدرته يمكنه الإفادة من المعارف القرآنية. مع ذلك فالقرآن لا يستغني عن السنَّة، سواء للوصول الى حقائق القرآن وباطنه أو رفع الابهام ومعرفة أجزاء و تفاصيل المعارف الدينية. يعد اتجاه تفسير النصّ بالنصّ عند مفسري الكتاب المقدس أحد المناهج التفسرية المعتبرة. إنّهم يوظفون هذا المنهج في مجال هرمنوطيق المجمل بالمبين، فالهرمنوطيق وبمساعدة السياق و ... ينتفع ويستفيد فائدة واسعة من ذلك. ويظهر المردود الكبير لهذا المنهج التفسيري عند القديس اوگستين، وهو من كبار الحكماء المسيحيين، الذي يعتقد أنه بمساعدة جزء من نصٍّ يمكن الكشف عن سر جزء آخر، وهذا المنهج قد اشتهر فيما بعد بتفسير النصّ بالنصّ (احمدى،١٣٧٥، ج٢،٥٠٢).

ج – الفهم العام:

يقصد بهذه الفرضية المسبقة أنَّ مخاطبي الوحي هم جميع البشر. والأوصاف التي ذكرها القرآن لنفسه مثل: بيان (آل عمران/ ١٣٨)، تبيان (نحل/ ٨٩)، كتاب مبين (مائدة/ ١٥و يوسف/ ١ و ...) ، لسانٍ عربى مبين (نحل/ ١٠٣) و (شعراء/ ١٩٢-١٩٥)، جاءت لجميع بني

الانسان وليس لقسم خاص منهم. وفي علم الهرمنوطيق يعبّر غالبا عن الفهم المسبق بالأفق، أما بين المفسرين المسلمين فيعبر عنه بالفضاء، وأحياناً يعرف بذهنية المفسر.

وتعتبر هذه المعلومات المسبقة من العوامل المهمة فى ظهور الاختلاف فى تفسير القرآن. بالطبع يلزم الانتباه الى أنَّ المعلومات المسبقة اذا كانت مورد قبول المسلمين، وكانت تناسب النصّ الذى يبغي المفسر التفسير بالرأى.

إنَّ أحد الموضوعات المهمة بالنسبة للهرمنوطيق والقرآن هو الاختلاف في اصدار الأحكام المسبقة للمفسرين وأفق نظرتهم خلال الرجوع الى تفسير القرآن الذي يفتح الطريق لتفسير جديد. مثلما كان عليه المفسرون طوال تاريخ الاسلام إذ إنَّ كثيرا منهم وعلى اساس معلوماتهم طرحوا تفاسير فقهية وكلامية وفلسفية وصوفية وادبية للنص القرآني. من جملة المباحث التي تحتل موقعا خاصا في «الهرمنوطيق القرآني» الاهتمام بأن فهم النص القرآني قد حصل بتفسير كانت له وظائف أساسية ثلاث هي:

أ- تعيين النسبة بين القرآن ونسخ معناه.

ب- امكان وجود تفاسير متعددة للنصّ القرآني.

ج- التعيين المستدل لمعنى النص في هذا الكتاب الالهي من وجهة نظر المفسر.

وبالنظر الى هذه الوظائف الثلاث يقوم المفسر بمتابعة الارتباط بين نصّ القرآن ومعناه، وتعيين النسبة بين الخطاب الالهي والمخاطبين (حقدار، بى تا، ش١٣، ص ٣٧).

٣- التدبر في القرآن:

لقد ذكر القرآن أساليب للتدبر يمكن العمل بها لفهم القرآن. ويمكن أن نعرف التدبر بأنه عملية تحقيق النتيجة المطلوبة من خلال أربع مراحل هي:

أ- الحس (استخدام الحواس)

ب- النظر (المكث والتأمل فى الجوانب)

ج- التفكر (كشف الحقيقة)

د- التذكر (التوجه للحقيقة).

إنّ مكانة التذكر مكانة خاصة بـ (اولوالألباب). هذه الجماعة تمتلك عقلاً خاصاً من كل شائبة (شاكر، ١٣٨٢، ص ٢١٨-٢١٧).

وبالطبع فإنّ القلب هو أحد العوامل المؤثرة في فهم القرآن وله دور مهم فى تلقي الحقائق، و الفكر السليم هو محصول القلب السليم. لهذا فهو من شروط وصول البشر الى مقام التذكر، قال سبحانه وتعالى: «إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» (ق/ ٣٧).

ويرى الشهيد مطهري أنَّ التفكر والتعقل هما من الاركان المهمة في فهم القرآن، وفي رأيه أنَّ القرآن يكلم الناس بلسان العقل ولسان القلب، لذلك من أجل إدراك حقائق القرآن يجب التعرف

على هذين اللسانين. (مطهرى ،١٣٦٧،ج٢، ص ٣٥).

٤ – العلوم الضرورية لتفسير القرآن:

إنَّ الباحثين في علوم القرآن أكدوا في مؤلفاتهم على ضرورة الاطلاع على هذه العلوم، و خصصوا فصلاً لذلك. وكذلك فعل المفسرون إذ تطرقوا في مقدمات تفاسيرهم الى هذا الموضوع و درسوا ضرورة الاستفادة من هذه العلوم ودور كلٍ منها. فالسيوطي يقرر أنَّ من جملة شروط مفسر القرآن أن يكون عالماً بخمس عشرة شعبة من العلوم (سيوطى، ١٤١٤، ج ٤، ص ٢١٥– ٢١٣). ومن أهم تلك العلوم التي يؤكد الباحثون في القرآن الكريم عليها ما يأتي:

١ – معرفة لغة القرآن:

إن معرفة لغة النصوص الدينية من جملة المباحث التي تتميز باهمية خاصة بين الباحثين فى العصر الحاضر، وقبل ذلك لم تكن لها سابقة فى الاوساط الاسلامية. فهل لغة التقرير الديني هي لغة تمثيل ورمز وعرف؟ في الاجابة على هذا السؤال تطرح آراء مختلفة تقتضي مجالاً آخر للبحث. وفي هذا الصدد فإنَّ معرفة لغة القرآن وكيفيتها يمكن أن تحوز اهتماماً جديّاً، فإنه علاوة على إنهائها بعض الجدل المحتمل في دائرة المعرفة الدينية ودورها في حل التعارض الظاهري المرتبط بالنصّ القرآني فهي تساعد المفسرين في فهم أدقّ للآيات القرآنية. إنّ القرآن حسب الموقع والضرورة يستعمل أساليب عقلية متنوعة فى ارسال خطابة.

من هذه الجهة فإنّ الاستفادة من أسلوب لا يجب تعميمه على جميع بيانات القرآن. إنّ بعض الباحثين المعاصرين قد كتبوا بهذا الصدد: «لغة القرآن هي لغة واضحة وعامة وفي اختيار الجميع من جهة، ومن جهة اخرى فهي مزيج من أسلوب بياني عرفي، وكذلك الاستعاري والرمزي و التمثيلي فلكل منها مكانة الخاص فى اللغة (هادوى تهرانى، ١٣٧٧،ص٣٠٦).

وفي اكثر الاوقات وفي دائرة المعارف العميقة بدليل تعقيد الموضوع وسمو المعنى فإنَّ البيان الصريح للعرف غير قابل للفهم. وهذا الأمر صار سبباً للعدول عن اسلوب الحوار المعروف والاتجاه نحو التمثيل والاستعارة ونحو ذلك. (هادوى تهرانى، ١٣٧٧،ص٣٠١). إنّ اول عاملٍ فى فهم القرآن هو معرفة لغة القرآن و قواعد فهم معاني الألفاظ. إن احدى مقدمات تفسير النصوص في رأي الباحثين فى علم الهرمنوطيق هي معرفة اللغة من حيث أنّ الافق المعنوي والتاريخي لظهور النص، والمفسر الذي يفسر بعد قرون، يختلفان معاً. التفسير الصحيح

يكون صحيحاً عندما يتعمق المفسر فى فهم النصّ ويتعرف على خصائص اللغة وقواعدها النحوية والبلاغية ساعياً الى كشف رموز النصّ.

معرفة زمان ومكان النزول:

إنّ الاطلاع على تاريخ نزول الآيات والسور والظرف الزماني والمكاني والاجتماعي للنزول له دور فاعل في فهم الالفاظ والكشف عن مراد الله سبحانه. كتب أحد الباحثين: «إنّ الشرط الآخر لمعرفة القرآن هو التعرف على تاريخ الاسلام. لأنّ القرآن ليس كالتوراة والانجيل طرح مرَّة واحدة من قبل الرسول بل إنّه نزل خلال ٢٣ عاماً وهي مدة حياة الرسول (ص) وخلال حوادث صعبة فى تاريخ الاسلام، من هنا فإنّ للآيات القرآنية شأن نزول توضح مضمون الآيات الى حدٍّ كبير وتيسّر فهمها». (مطهرى ،١٣٦٧،ج٢، ص٢٠). مقدمة اخرى من مقدمات فهم النصوص في علم الهرمنوطيق هي الاستفهام من التاريخ الذي يوجه المفسر للبحث في معنى النصّ ويدفعه لسماع صوت التاريخ، والمفسر في هذه المرحلة يقوم بالبحث عن مسائل من هذا القبيل: ما هي العلاقات والانتظارات التي ساقت المؤلف لإيجاد مثل هذا النصّ؟ أيّة ظروف تاريخية تحدث بذلك؟ كذلك فإنّ مدى تأثير النصّ القرآني في مجتمع الجزيرة العربية يظهر بواسطة استفهام المفسر من التاريخ.

كثرة معاني النص:

إن الغرض من تفسير القرآن هو الحصول على مراد الله سبحانه. هذا المعنى يوجد فى بعض نظريات الهرمنوطيق لتفسير النصوص المقدسة، ففي رأي شلايرماخر أن المرحلة الأساسية من مراحل فهم النصوص هي معرفة مقصود المؤلف ومراده، وأن قصد المؤلف ليس إلّا واحداً، وللوصول الى تفسير صحيح يلزم الكشف عن قصد المؤلف ومراده. وفي رأي الباحثين الآخرين، أن الهدف من فهم النصّ هو الحصول على العناصر النفسية والشخصية، وفي النظريات المعاصرة للهرمنوطيق أن فهم النصّ ليس بمعنى الكشف عن مراد المؤلف ولا الكشف عن شخصيته بل هو الوصول الى أُفقه الفكري. والآن فالسؤال المهم الذي يطرح هو: هل أن ما يفهم من القرآن ما هو إلاّ فهم واحد، أو أنه يجب القول بأفهام متعددة؟ في هذا الصدد هنالك آراء مختلفة، بعض الدارسين يعتقد أن من غير الممكن قبول تفاسير عدة للقرآن، ويجب أن نقبل تفسيراً واحداً. ويرى غيرهم أنّ آيات القرآن لها قراءات صحيحة متعددة، ولذلك لا يمكن أن ينحصر الفهم بتلقٍ واحد. وفي أي زمان من الأزمنة لا يمكن القول بتفسير واحدٍ نهائي للنصّ القرآني.

وفي التأويل الهرمنوطيقي لم يغلق الباب إزاء

تفسير جديد للنصّ القرآني ابداً، وهذا الرأي ناشيء من موردين:

١ – إن معنى النص القرآني لم يكن واضحاً كله وهو قابل لتفسير اكثر.

٢ – إن اختلاف المفسرين حول آيات القرآن دليله هو عدم تشخيص المعنى النهائي مما يجعلنا بحاجةٍ الى تفسير جديد.

ويعتقد العلامة الطباطبائي أن للقرآن من حيث المعنى مراتب يترتب بعضها على بعضٍ، وأن جميع تلك المعاني ليست في عرضٍ واحد بل كل معنى يختص بأفق ومرتبة من الفهم والإدراك. طباطبايى،١٣٩٣ ،ج٣،ص٦٤).

وفي نظر بعض الباحثين في القرآن أن النظرتين السابقتين كليهما على خطأٍ، وهما نوع من الإفراط والتفريط. والحق هو أن بعض الآيات من حيث الصراحة على معنى واحد، ولا تحتمل إلّا فهماً واحدا وأن أي تلقٍّ آخر غير ذلك الفهم هو انحراف عن قواعد التفسير الصحيح. ويميل غيرهم الى قبول عدة قراءات مختلفة عرضاً. بالطبع أنّ تعدد القراءات لنصوص القرآن لم ينشأ عن الابهام فى النصّ المفسر بل من جهة المحتوى والمقام الرفيع للقرآن ومنزله، وكأنّ الله سبحانه قصد مفاهيم عدة فى جملة واحدة.

الخاتمة: توصلت الدراسة الى ما يأتي:

١– إن قسماً من النصوص الدينية بحاجة الى التفسير ولكنَّ هذا التفسير يحتاج الى علم، وهذا العلم يسمّى لدى الغربيين بالهرمنوطيق، وعند المسلمين بالتأويل. الهرمنوطيق عندما يستعمل مع القرآن فإنه يستعرض عمل الفهم خلال قراءة النصّ القرآني.

٢– إن دائرة تفسير النصوص المقدسة تبلورت بناءً على حاجة ماسة للبشر. هذه النصوص في الغالب تخاطب عموم البشر في كل زمان و مكان، مع ذلك فإن الحصول على معنى ومقصود هذه النصوص ليس بالأمر الهيّن. لقد تحدث الباحثون فى الدراسات القرآنية كثيراً عن مناهج التفسير، وإن الجهود التفسيرية خلال أكثر من ألف عام أحسن شاهدٍ على ذلك.

٣– في نظر الباحثين في القرآن المراد من التفسير وفهم القرآن هو الحصول على مراد الله سبحانه وبصورة عامة لا يمكن القبول بأنَّ لآيات القرآن معنى نهائيا واحدا. أما في الهرمنوطيق القديم فقد اعتقد بالمعنى الأصلى والنهائي للنصّ. بناءً على ذلك فإنَّ لكلَّ نصّ معنى كان مقصود ذهن الكاتب، وإن الكشف عن نيَّته مع كونه أمرا صعبا فإنه ليس غير ممكن.

٤– في بحث ضوابط تفسر القرآن الى جانب التأكيد على دور قواعد الادب التي تحكم النصّ

يلزم ذكر ضوابط اخرى تدفع رعايتها المفسر الى التفسير الصحيح. إن الهرمنوطيق انشغل دوماً بمسألة تفسير النصوص، من هنا أثرت النظريات الحديثة في مجال هرمنوطيق النصّ على دائرة التفكر الديني.

الهوامش:

١. hermeneatics.

٢. hermeneuein.

المراجع:

القرآن الكريم.

١. كتاب مقدس(عهدعتيق وعهدجديد)

٢. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، نشر ادب الحوزه ، قم ، ١٤٠٥ .

٣. ابن فارس ، احمد ، معجم مقاييس اللغه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم ، ١٤٠٧ .

٤. ابن جزى الكلبى،محمدبن احمد،التسهيل لعلوم التنزيل، چاپ دوم ،نشردارالكتاب، ١٣٩٣.

٥. احمدى ، بابک ، ساختار و تاويل متن ، نشر مركز ، تهران ، ١٣٧٥ .

٦. احمدى ، بابک ، هرمنوتيک مدرن ، نيچه و ديگران ، نشر مركز ، تهران ، ١٣٧٩ .

٧. ازهرى،ابى منصور،تهذيب اللغة،تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين،نشرالدارالمصرية،[بى تا].

٨. انصارى ، مرتضى ، فرائدالاصول ، مجمع الفكر الاسلامى ، قم ، ١٣٧٧ .

٩. ايازى ، محمدعلى ، ، تفسير و هرمنوتيک ، فصلنامه مبين ، شماره نهم و دهم،[بى تا].

١٠. آلوسى ،سيد محمود، روح المعاني،الطبعة الرابعة،بيروت، داراحياءالتراث العربي،١٤٠٥.

١١. بلخارى ، حسن ، بطن متن (قرآن ، تاويل و هرمنوتيک) ، انتشارات حسن افرا ، چاپ دوم ، تهران ، تابستان ٧٩ .

١٢. بهرامى ، محمد، نگرشى تطبيقى به دانش تفسير و هرمنوتيک شلاير ماخر، فصلنامه پژوهشهاى قرآنى ، سال هشتم ، شماره ٢٩ و ٣٠ ، بهار و تابستان ١٣٨١.

١٣. پورحسن،قاسم ،گادامر و هرمنوتيک ،اطلاعات حكمت و معرفت ، شماره پنجم ، اول تير ٨٥ .

١٤. حقدار، على اصغر، قرآن و دانش هرمنوتيک ، فصلنامه گلستان قرآن ، دوره جديد ، شماره١٣.

١٥. راغب اصفهانى ، حسين بن محمد ، مفردات الفاظ القرآن ، چاپ دوم ، المكتبه المرتضويه ، تهران ، ١٣٦٢.

١٦. رجبى ، محمود ، روش تفسير قرآن ، موسسه پژوهشى حوزه و دانشگاه ، ١٣٨٣.

١٧. ریخته گران ، محمدرضا ، منطق و بحث هرمنوتیک ، مرکز مطالعات و تحقیقات فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی ، چاپ اول ، تهران ، ١٣٧٨ .
١٨. زرکشی ، بدرالدین ، البرهان فی علوم القرآن ، چاپ اول ، دارالکتب العلمیه ، بیروت ، ١٤٠٨.
١٩. زرقانی،عبدالعظیم،مناهل العرفان فی علوم القرآن،بیروت،دارالفکر،١٤٠٨.
٢٠. زمخشری ، محمود بن عمر ، اساس البلاغه ، تحقیق عبدالرحیم محمود ، دارالمعرفه ، بیروت ، ١٣٩٩.
٢١. زبيدي، مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، چاپ اول، دارالفكر، بيروت، ١٤١٤ .
٢٢. سیوطی،جلال الدین، الاتقان فی علوم القرآن، تحقیق محمد ابوالفضل ابراهیم، منشورات شریف الرضی ،[بی جا] ، ١٤١٤.
٢٣. شاکر ، محمد کاظم ، روشهای تفسیری قرآن ، مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم ، زمستان ١٣٧٦ .
٢٤. _____، مبانی و روشهای تفسیری ، چاپ نخست ،مرکز جهانی علوم اسلامی ، سال ١٣٨٢ .
٢٥. شریف لاهیجی، بهاءالدین، تفسیر لاهیجي،تهران،مؤسسه مطبوعات علمي،١٣٦٣.
٢٦. ذهبی ، محمد حسین ، التفسیر و المفسرون ، چاپ دوم ، داراحیاء التراث العربی ، بیروت ، ١٣٩٦.
٢٧. طبرسی ، فضل بن الحسن ، مجمع البیان فی تفسیر القرآن ، داراحیاء التراث العربیء ، بیروت ، ١٤٠٦.
٢٨. طباطبایی ، محمد حسین ، المیزان فی تفسیر القرآن ، چاپ سوم ،مؤسسه الا علمی للمطبوعات، بیروت ، ١٣٩٣.
٢٩. طریحی ،فخر الدین، مجمع البحرین، بیروت،مکتبة الهلال،١٩٨٥.
٣٠. طیار،مساعد، التفسیر اللغوی، چاپ اول ، دارابن الجوزی، ١٤٢٢.
٣١. فراهیدی،خلیل بن احمد،العین ،تحقیق مهدی المخزومی وابراهیم السامرائی، چاپ اول، مؤسسة الاعلمي ،بیروت ، ١٤٠٨.
٣٢. فرجاد،محمد، هرمنوتیک و متون مقدس ،فصلنامه پژوهشهای قرآنی ، شماره ١٦-١٥ ، پاییز و زمستان ١٣٧٧ .
٣٣. فیروز آبادی ، محمد بن یعقوب ، القاموس المحیط ، دارالکتب العلمیه ، بیروت ، ١٤١٥.
٣٤. کافیجی،محمدبن سلیمان، التیسیرفی قواعدعلم التفسیر،تحقیق ناصرمحمدالمطرودی، چاپ اول، دمشق ، نشردارالقلم،١٤١٠.
٣٥. مطهری ،مرتضی ،آشنایی با قرآن، انتشارات صدرا،تهران،١٣٦٧.
٣٦. معرفت ،محمد هادی،التفسیروالمفسرون، الطبعه الاولی،مشهد،الجامعه الرضوی للعلوم الاسلامیه،١٤١٨
٣٧. واعظی ، احمد ، درآمدی بر هرمنوتیک ، مؤسسه فرهنگی دانش و اندیشه معاصر ، تهران ، ١٣٨٠
٣٨. هادوی تهرانی،مهدی،مبانی کلامی اجتهاد در برداشت از قرآن کریم،مؤسسه فر هنگی خانه خود،١٣٧٧.
٣٩. The role of knowledge in understanding the Holy Quran
Mina Shamkhi ,Department of Quranic Studies & Hadith , Faculty of Theology & Islamic Studies ,Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz,Iran